

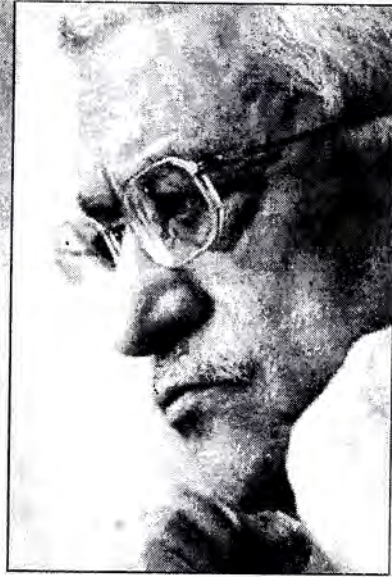


يقيم: إسماعيل منتصر

بين السياسة والإنسانية.. توريط مصر في غزة!



خالد مشعل



محمود عباس

نتفق أو نختلف.. لا يستطيع أحد أن يزايد على موقف مصر من القضية الفلسطينية.. ولا يقدر أحد أن ينكر الثمن الفادح الذي تحملته مصر من أجل هذه القضية.. التاريخ هو الشاهد الأكبر الذي لا يستطيع أحد مغالطته.. وهل يستطيع أحد أن ينكر أن مصر تحملت العبء الأكبر في كل الحروب العربية الإسرائيلية؟.. هل يستطيع أحد أن يغالط ويقول إن مصر توقفت في أي وقت وتحت أي ظروف عن دعم الشعب الفلسطيني ومساندته؟! وعندما تعرضت غزة مؤخراً لمحنة الحصار وقطع إمدادات الغذاء والوقود عنها وتعرض سكانها الأبرياء لاعتداءات وحشية.. لم يتغير موقف مصر ولم يتبدل.. وإنما واصلت جهودها - كالعادة - لتخفيف الحصار ورفع المعاناة عن أبناء غزة.

ومن الغريب والمثير للدهشة أن نسمع بعد ذلك من يقول إن مصر تتخلى عن الفلسطينيين المحاصرين.. وأنها تقف صامتة أمام المأساة تتفرج عليها!.. والأغرب والأكثر إثارة للدهشة أن البعض يمتضى أبعد من ذلك فيقول: إن مصر تتحمل المسؤولية الأكبر لمعاناة الشعب الفلسطيني!

هؤلاء في الحقيقة لا يغالطون الحقائق ويخلطون الأوراق فقط.. ولكنهم أيضاً يعانون من ذاكرة ضعيفة!

وهل نسي هؤلاء من بدأ المأساة؟!.. هل نسي هؤلاء دور حماس في هذه المأساة؟! منذ نشأتها.. سعت حماس للانفراد بالسلطة والحكم وتهميش كل القوى والفصائل الفلسطينية الأخرى.. وخاصة فتح.. الأحداث والظروف في الواقع ساعدتها.. ففي أعقاب هجمات ١١



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

سبتمبر.. تغير الكثير من المعادلات السياسية.. وفي إطار هذا التغيير نجحت أمريكا ونجحت إسرائيل في تحويل النضال الفلسطيني إلى إرهاب في نظر المجتمع الدولي! وانكششت السلطة الفلسطينية وأصابها الضعف.. وفي نفس الوقت بدأت إسرائيل بقيادة شارون في الانفراد بالفلسطينيين وتضييق الخناق عليهم ومواصلة الاعتداء على أرواحهم. ونقد صبر الشعب الفلسطيني الذي لاقى الأهوال من الحصار والاعتداء الإسرائيلي.. وبدأت حماس تستغل الظروف ف راحت تسحب البساط من تحت أقدام السلطة الفلسطينية وتسوق نفسها على اعتبار أنها حركة المقاومة الرئيسية.

استخدمت حماس صواريخ القسام.. وهي في الحقيقة ألعاب نارية أكثر منها صواريخ.. ف راحت تطلقها على البلدان الحدودية الإسرائيلية.. ولم تصل هذه الصواريخ إلى أهدافها أبدا.. الهدف الوحيد الذي استطاعت الوصول إليه هو إعطاء شارون الذريعة لاغتيال الفلسطينيين ومواصلة الاعتداء عليهم والهرب من عملية السلام! وزادت الأوضاع سوءاً في الأراضي الفلسطينية.. خاصة في قطاع غزة الذي يعد أكثر البقاع ازدهاما بالسكان على الأرض!

وفي أجواء اليأس والإحباط التي أصابت الشعب الفلسطيني نجحت حماس في الفوز بالانتخابات التشريعية.. ووصلت أخيراً للهدف الذي سعت إليه منذ البداية.. الحكم! وتشدد إسرائيل من حصارها للأراضي الفلسطينية في أعقاب فوز حماس في الانتخابات.. وتقود الولايات المتحدة حملة لعزل الفلسطينيين دولياً.. ويساعد إسرائيل وأمريكا موقف حماس الذي لم يتغير بعد وصولها للحكم.. لا تفاوض مع إسرائيل ولا اعتراف بها.. لا اليوم ولا غداً.

لم تعترف حماس ولم توافق حتى على المبادرة العربية التي تستند إلى مبدأ الأرض مقابل السلام.. وعلى الرغم من قدراتها العسكرية المتواضعة جداً.. استمرت في انتهاج سياسة المواجهة وإطلاق صواريخ القسام.. واستمر الشعب الفلسطيني يدفع الثمن!

وتبلغ المأساة ذروتها بصدام عسكري بين فتح وحماس.. ويتجاوز الصراع بين الاثنين كل الخطوط الحمراء.. ويتجاوز أعداد القتلى من الفلسطينيين رقم المائة قتيل!.. وتعلن حماس إحكام سيطرتها على غزة وتحريرها من السلطة الفلسطينية!.. ويعلن رئيس السلطة الفلسطينية محمود عباس (أبو مازن) إقالة حكومة حماس التي يرأسها إسماعيل هنية.. ويتم تشكيل حكومة جديدة.. وينقسم الكيان الفلسطيني إلى كيانين: كيان في الضفة الغربية، حيث السلطة الفلسطينية والحكومة الجديدة.. وكيان في غزة، حيث حماس وإسماعيل هنية!

حاولت مصر أن تجنب الفلسطينيين هذا الوضع الأسوأ قبل حدوثه.. وبذلت محاولات عديدة للحفاظ على وحدة الصف الفلسطيني.. لكن إصرار حماس على الانقلاب والانفصال كان أكبر من أي جهد.. وحاولت السعودية عن طريق اتفاق مكة.. لكن النوايا لم تكن صادقة! وتزداد الأوضاع سوءاً في قطاع غزة.. وتواصل حماس إطلاق صواريخها الطفولية مع تجدد المفاوضات بين السلطة الفلسطينية وإسرائيل في أعقاب مؤتمر أنابوليس.. وتنتهز إسرائيل الفرصة كالعادة فتبدأ في تكثيف اعتدائها على الفلسطينيين وتشديد الحصار عليهم.. وتبارك أمريكا الإجراءات الإسرائيلية وتصف العدوان الإسرائيلي بأنه دفاع عن النفس! وتدخل غزة محنة جديدة.. الفضل فيها لحماس!

تصاعدت حدة الأزمة التي يعيشها الفلسطينيون في قطاع غزة بتشديد الحصار الإسرائيلي وإغلاق المعابر وقطع الكهرباء وإمدادات الوقود والغذاء.. وكعادتها بدأت مصر في التحرك لإنقاذ الشعب الفلسطيني المحاصر وتخفيف المعاناة عنه.

اتصل الرئيس مبارك بالرئيس الأمريكي والعديد من قادة الدول الأوروبية.. وأسفرت اتصالاته بقيادة إسرائيل عن استجابتهم فأرسلوا شاحنة وقود إلى قطاع غزة.. في نفس التوقيت أطلقت حماس الصواريخ على المعبر الذي كانت تتجه إليه شاحنة الوقود فعاذت أدراجها.. وعادت مصر تطلب من إسرائيل تنفيذ ما وعدت به، فردت إسرائيل بأن الوقت أصبح متأخراً وأنها لا تستطيع إدخال الشاحنة لئلا تحسب لهجمات صاروخية جديدة.. ومع ذلك حصل الرئيس مبارك على وعد بأن تستأنف إسرائيل المحاولة لإدخال الوقود إلى غزة وإعادة الكهرباء



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

إليه.

ورغم كل ما تبذله مصر من جهد.. ورغم أنها تحاول أن تسابق الزمن لإنهاء هذا الوضع المأساوي.. بدأت محاولات توريط مصر!..

اندفع آلاف المتظاهرين من أبناء غزة إلى حيث معبر رفح محاولين الخروج منه إلى داخل الأراضي المصرية.. غير أن قوات الأمن المصرية تصدت لهذه المحاولة وطلبت من المتظاهرين العودة.. فعدوا!

لم تفعل مصر ذلك لزيادة معاناة الفلسطينيين أو الوقوف موقفا سلبيا من حصارهم كما زعم

البعض وإنما كانت لها أسبابها.. والحقيقة أن هناك خلطاً متعمداً للأوراق فيما يتعلق بهذه المسألة.. فالذي لا يعرفه كثيرون أن هناك اتفاقاً بين السلطة الفلسطينية والاتحاد الأوروبي لتنظيم دخول وخروج الفلسطينيين من معبر رفح من الجانب الفلسطيني.. ويسمح الاتفاق الذي لا دخل لمصر به.. يسمح لإسرائيل بمراقبة عمليات الدخول والخروج بواسطة كاميرات تليفزيونية.. أما بالنسبة للمعبر من جانبه المصري فهو يخضع بالكامل للسيطرة المصرية.. وفي إطار تفويت الفرصة على إسرائيل لعدم التذرع بحجة الأمن فإن مصر لا تسمح بالدخول إلا في إطار الاتفاق الموقع بين السلطة والاتحاد الأوروبي..

وكان من نتيجة سيطرة حماس على غزة وخروج السلطة الفلسطينية منها.. انسحاب ممثلي الاتحاد الأوروبي من موقعهم بمعبر رفح.. باعتبار أنهم لا يتعاملون إلا مع السلطة الفلسطينية ولا يعترفون بحماس..

وكان من الطبيعي أن تلتزم مصر بمسئوليتها وتمنع الدخول والخروج من المعبر مادامت الاتفاقية بين السلطة الفلسطينية والاتحاد الأوروبي قد تعطلت.. في إطار تفويت الفرصة على إسرائيل للتذرع بحجة الأمن.

غير أن الأحداث تطورت وتلاحقت..

قام مسلحون تابعون لحماس بتفجير ١٥ موقعا على الحدود بين مصر وغزة عند معبر رفح.. اندفع على أثرها آلاف الفلسطينيين إلى داخل الأراضي المصرية..

كان في إمكان قوات الأمن المصرية أن تتصدى بالقوة لمحاولة دخول الفلسطينيين.. لكن الرئيس مبارك أصدر قرارا بالسماح للفلسطينيين بالدخول للتزود باحتياجاتهم من الغذاء والدواء..

وكان القرار حكيما.. فقد وضع الرئيس مبارك في اعتباره الجانب الإنساني لمأساة غزة مشيرا إلى أن مصر لن تسمح بتجويع الشعب الفلسطيني..

هل تم اقتحام المعبر بتعليمات من حماس؟!

خالد مشعل رئيس المكتب السياسي أعلن أن الاقتحام كان قرارا شعبيا فلسطينيا وليس بتعليمات من حماس.. والحقيقة غير ذلك تماما.. فعملية تفجير المواقع على الحدود بين مصر وغزة لا يمكن أن تكون قرارا شعبيا!.. فما الذي تريده حماس؟!..

تستهدف حماس تفجير الوضع وخلط الأوراق وإقحام مصر في الأزمة لكي تجبرها على التعامل معها كسلطة شرعية.. حماس تعلم بالطبع أن آخر إجراء يمكن أن تفكر فيه مصر هو الاعتداء على الفلسطينيين الذين يقتحمون الحدود.. كما أنها تتصور أن الغضب في الشارع المصري يمثل ضغطا على القرار المصري في هذا الشأن.. وهو تصور خاطئ في الحقيقة لأن الموقف المصري الرسمي يتفق مع الموقف الشعبي في رفض سياسة إسرائيل التي تستهدف تجويع الشعب الفلسطيني في غزة وفرض العقاب الجماعي..

ثم إن حماس تعلم أن الموقف المصري سيسبب خلافا بين مصر وإسرائيل.. لكنها في النهاية تستهدف تفجير الموقف وإقحام مصر في الأزمة لكي يتم التعامل معها كسلطة، وهو ما يعني



مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

استمرارها في الحكم.. وفرض أجندتها الخاصة كحكم إسلامي!.. حماس لا تريد أكثر من العودة إلى الحكم.. ولا تهمها مأساة الشعب الفلسطيني.. وعندما وقف خالد مشعل يندد بالصمت العربي تجاه ما يحدث في غزة كان يعلم أنه يخلط الأوراق ويغير الحقيقة.. فمصر والدول العربية لم تصمت، وإنما تحركت لإنهاء هذه المأساة.. ثم هل استشار خالد مشعل واستشارت حماس مصر والدول العربية التي ينتقد صمتها عندما قامت حماس بتصفيد الموقف وتفجيره بإطلاق صواريخها على البلدات الإسرائيلية فلم تفعل أكثر من إعطاء إسرائيل الذريعة لضرب وتجويع وحصار الشعب الفلسطيني؟!..

الموقف المصري تجاه القضية الفلسطينية لن تفلح معه أي محاولة للمزايدة عليه.. فمصر أكبر من أي مزايدة وهي تعلم مسئولياتها وتذكر أيضاً أن ما تقوم به حماس مناورة مكشوفة.. لكنها مع ذلك ومن واقع إدراكها لمسئوليتها تسعى لرأب الصدع وتوحيد الصف الفلسطيني.. وقد أعلن الرئيس مبارك بوضوح أن مصر على استعداد لاستضافة حوار فلسطيني بين فتح وحماس.. لعل الأمور تسير في الاتجاه الصحيح.. ولن تسير الأمور في هذا الاتجاه الصحيح إلا إذا تخلت حماس عن مصلحتها الشخصية.. ووضعت مصلحة الشعب الفلسطيني فوق أي اعتبار.. ومن بدأ المأساة ينهيها.. كما قال نزار قباني!..